رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 71- سورة الزمر | من الأية 45 إلى 95

عبدالرحمن العجلان

لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد بالله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العذاب من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم - 00:00:00

من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرة على ما فرطت في جنب الله او تقول لو ان الله هداني لكم كنت من المتقين - 00:00:48

او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت هذه الايات الكريمة من سورة الزمر جاءت بعد قوله جل وعلا - 00:01:22

قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون - 00:01:58

الاية السابقة فيها البشارة من الله جل وعلا والوعد الكريم منه جل وعلا بالمغفرة والرحمة مهما كثرت وعظمت الذنوب وان كان المرء مسرفا على نفسه بكثرة المعاصي والله جل وعلا يغفر الذنوب جميعا - 00:02:26

وهذه الاية الكريمة وما بعدها فيها الترهيب والتخويف من الاستمرار على المعاصي ثم قد يفاجئ المرء الموت والعذاب وهو على حالته السيئة قهوة مأمور بان يرجع الى الله اذا وقع في المعصية - 00:03:01

اناب الى الله وتاب اليه واستغفر فيتحقق له الوعد الكريم في الاية الاولى وانيبوا الى ربكم واسلموا له انيبوا اناب بمعنى رجع وتاب الى الله وقال جل وعلا الى ربكم - 00:03:35

ولم يقل وانيبوا الى الله قال وانيبوا الى ربكم الذي رباكم بالنعم وجاد عليكم وهو الذي تولاكم من اول امركم انيبوا اليه واسلموا له والاسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك - 00:04:05

واسلموا له سلموا امركم اليه. استسلموا له بالطاعة واجتناب المعصية قال بعض المفسرين رحمهم الله هذه الاية في حق الكفار. لانه قال اسلموا وهذا الكلام يصح ان يقال للكافر اسلم الى الله - 00:04:39

ويقال للمؤمن اسلم امرك الى الله تب الى الله ارجع الى ربك واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب اذا جاء العذاب حينئذ لا ينفعكم الانابة ولا ولا ينفعكم الاسلام حينئذ - 00:05:07

لان المرء يستفيد من توبته يستفيد من اسلامه قبل ان يرى العذاب اما اذا رأى العذاب وقد حيل بينه وبين التوبة ولا ينتفع باسلام حينئذ كما قال الله جل وعلا لفرعون لما قال - 00:05:36

امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قيل له الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين الان ما ينفع قد يقول قائل قد ورد قوله جل وعلا - 00:06:03

قوم يونس الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين نفعهم توبتهم نقول نعم نفعتهم توبتهم لانهم لم يعاينوا العذاب فالمرء يتوب في حال مرظه - 00:06:29

يقبل الله جل وعلا توبته يتوب اذا عاين ملائكة العذاب لا تنفعه توبته يتوب اذا عاين العذاب ما تنفع اذا ايقن بالموت لا تنفع التوبة

حينئذ واما ما دام لم يعاين - 00:06:56
ولم تصل الروح الحلقوم التوبة مقبولة باذن الله من قبل ان يأتيكم العذاب اذا جاء العذاب حينئذ وعاينه ما يستفيد المرء من انابته من انابته الى الله ولا من اسلامه - 00:07:23
فاذا عاين العذاب حينئذ لا ينصر ولا يستفيد من رجوعه الى الله من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون لا يقبل منكم والمرء يكون على استعداد دائما وابدا لانه لا يدري متى - 00:07:50
يفاجئه الموت او الاجل او العذاب ان المرء قد يقع في المعصية فيفاجئه العذاب وهو على معصيته. ينتقم الله جل وعلا منه وهو على معصيته ثم استحث الله تبارك وتعالى عباده الى المسارعة الى التوبة - 00:08:17
وقال واسلموا له اي ارجعوا الى الله واستسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم - 00:08:46
وهو القرآن العظيم واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون امر من الله جل وعلا بان يتبع المرء احسن ما انزل اليه من الله - 00:09:11
ما هو هذا الاحسن؟ هو القرآن القرآن احلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا بمحكمه وامنوا بمتشابهة وارجعوا اليه في جميع شؤونكم هذا الاتباع اما ان يتبع القرآن في شيء ويعارضه في اشياء فهو ما اتبعه - 00:09:37
قال الحسن رحمه الله التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدي الاحسن ما امر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات القرآن وكلوا علم المتشابه الى عالمه خذ بالمحكمات - 00:10:13
الاوامر والنواهي الواضحة البينة واما ما تشابه من كتاب الله فامن به ولا تشغل نفسك بان تضرب ايات الله بعضها ببعض ولا تكن من المجادلين في الايات المتشابهة الله جل وعلا يقول منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات - 00:10:44
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله اتبعوا الايات المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه الله جل وعلا وقيل - 00:11:22
اتبعوا الناسخ دون المنسوخ لان الله جل وعلا انزل ايات فيها احكام ثم نسخ جل وعلا هذه الاحكام بايات اخر الواجب على المسلم ان يتبع الايات الناسخة ويتوقف عن عن اتباع الايات المنسوخة - 00:11:49
وقيل المراد بقوله احسن ما انزل اليكم من ربكم من اخبار الامم الماضية الله جل وعلا قص علينا اخبار الامم الماضية والامم الماضية منهم الاخيار والانبياء والصالحون ومنهم اولو العزم من الرسل - 00:12:25
ومنهم الاشرار والفجار والكفار ونتبع الامم والانبياء السابقين نأخذ بهديهم وسمتهم وما ماتوا عليه مما لم يخالف شرعنا. كما قال الله جل وعلا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم - 00:12:54
وهذا مثل قوله جل وعلا الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه القصص السابق يطلق عليه قول وارد في القرآن والقصص قصص حسنى قصص الانبياء والصالحين من عباد الله يتبع وقصص الفراعنة والفجار والكفار يجتنب - 00:13:26
وعلى كل فالمرء مأمور باتباع القرآن والقرآن ما من خير الا وامر به ورغب فيه. وما من شر الا وحذر عنه واذا قيل المراد القرآن شمل الاقوال السابقة كلها مأمور بالقرآن بان يأخذ بالناسخ ويدع المنسوخ - 00:14:03
مأمور بالقرآن بان يقتدي بالاخيار من عباد الله مأمور بالقرآن بان يحذر اتباع سبيل من هلك مأمور بالقرآن بان يأخذ بالايات المحكمات منهي في القرآن بان يتبع المتشابه فاذا اخذ المرء بالقرآن الذي هو خلق النبي صلى الله عليه وسلم - 00:14:34
وقد سأل احد التابعين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اثنى عليه ربه به. في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم. قالت رضي الله - 00:15:10
عنها كان خلقه القرآن يحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه ويتلوه حق تلاوته صلى الله عليه وسلم هو الذي امر بهذا خلقه القرآن ان ربه جل وعلا ادبه فاحسن تأديبه. ادبه بماذا؟ بالقرآن - 00:15:32

واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة اذا حان المرء عن القرآن ثم اتاه العذاب بغتة؟ هل يستطيع ان يأخذ بتعاليم القرآن يمكنه ان يأخذ بها قبل ان يأتيه العذاب - 00:16:01

والعذاب قد يأتي فجأة يأتي بغتة يأتي بدون ان يستعد له المرء من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون. لا يكون له مقدمات والله جل وعلا قد يمهل - 00:16:24

الظالم ثم يأخذه فجأة يأخذه بغتة يأخذه على اقوى حال كان هو يأخذه على اخبث حال سيئة كان يعملها يأخذه بدون نذارة بدون مقدمات يباغته الاجل يباغته العذاب الهلاك على - 00:16:44

حال سيئة والعياذ بالله والله جل وعلا يحذر عبادة من الوقوع في المعاصي التي قد يؤخذون عليها فيختم لهم بسيئ اعمالهم فيكون من اهل النار والعياذ بالله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون. لا تدرون - 00:17:11

يأتي العذاب مفاجئ نعم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون اي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون. ثم قال عز وجل ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله - 00:17:42

اي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والانابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل. ان تقول نفس ان تقول نفس اي لئلا تقول نفس لئلا تقول نفس - 00:18:04

ونفس هنا نكرة والنكرة يأتي للتكثير لان هذا سيقوله كثير من الناس كثير من الانفس كما قال الله جل وعلا علمت نفس ما احضرت المراد بها التكفير يا حسرتا يا حسرتا - 00:18:31

قرأت الجمهور بالف وقراءة اخرى يا حسرتاه بهاء السكت تنتهي بهاء السكت وقرأ يا حسرتاه يا حسرتي بالياء ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله يتحسر - 00:19:00

ويتأسف ويندم ويظهر الندامة لكن بعد فوات الاوان المرء في الدنيا اذا ندم وتاب الى الله جل وعلا نفعه ندمه باذن الله لكن اذا باغته العذاب ووقع في العذاب في الدنيا - 00:19:29

فانه يوم القيامة يتحسر يقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله لكن هذا التحسر وهذه الندامة لا تنفعه. لانه فات الاوان والمراد بقوله جل وعلا على ما فرطت اي تفريطي وتقصيري واهمالي في جنب الله - 00:19:59

اي في طاعة الله جل وعلا. وقيل بذكر الله جل وعلا. وقيل في اتباع ما امر الله جل وعلا به وامر به رسوله صلى الله عليه وسلم. نعم وقوله تبارك وتعالى - 00:20:25

وان كنت لمن الساخرين اي انما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق وان كنت اي وما كنت الا من الساخرين يعني من المستهزئين والواقع في الاثم - 00:20:44

نوعان نوع من الناس معرض عن طاعة الله واقع في الحرام في الاثم لكنه قد سلم المؤمنون من شره ما يسخر ولا يستهزئ والاخر والعياذ بالله الذي هو الاخبث والاسوأ - 00:21:11

جمع الرذيلتين فرط في طاعة الله وترك الطاعة وفعل المعصية وجمع مع هذا السخرية بالاخيار وهذا اخبث واشد اثما فذاك يتحسر لامرين لانه فرط في الطاعة فلم يطع الله جل وعلا - 00:21:37

ولانه مع تفريطه في الطاعة كان يسخر ممن يأمره بالخير او ينهاه عن الشر يتحكم بالصالحين يتهكم الاتقياء يتهكم باول ياء الله جل وعلا والسخرية الاولياء والصالحين لكونهم اطاعوا الله جل وعلا واجتنبوا المحرمات - 00:22:10

هذه صفة ذميمة صفة قبيحة يستحق عليها المرء العذاب الاليم في الدار الاخرة كما قال الله جل وعلا قل اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم - 00:22:44

فليحذر المرء السخرية من سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يسخر مثلا بصاحب اللحية الذي اختفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعفى لحيته او يسخر بمن - 00:23:08

يقصر ثوبه يرفعه عن الكعبين ولا يسبل فيسخر منه او يسخر لمن يحافظ على الصلوات الخمس جماعة في المسجد او يسخر بالذي يجتنب المحرمات يشخر بمن يجتنب الكذب يسخر بمن يجتنب الغيبة - 00:23:31

او ينهى عنها على مثل هذا خطر عظيم ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكيهين. واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون - 00:23:57

وما ارسلوا عليهم حافظين. فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون يعاقب الله جل وعلا اولئك بانهم يكونوا في الدار الاخرة مجال السخرية والاستهزاء مثلما استهزأ بعباد الله الصالحين - 00:24:23

فليحذر المرء ان يسخر او ان يستهزئ بعبد صالح من عباد الله وان كان فقيرا وان كان مريظا وان كان ذميم الخلقة او غير ذلك من الصفات ما دام مطيعا لله جل وعلا فليحذر السخرية منه - 00:24:46

وان كنت لمن الساخرين ما كنت في الدار الدنيا الا من الساخرين من المستهزئين وبعض الناس يستسهل هذا الامر ويأتي به على سبيل التفكه واظحاك الاخرين يهزأ لمن يطيع الله - 00:25:10

يهزأ المتمسك بالسنة وهذا على خطر عظيم ان استهزأ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها سنة فهو متوعد بالوعيد الشديد في قوله جل وعلا قل الله واياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم - 00:25:37

هذه الاية نزلت في جماعة من المنافقين قالوا ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطونا ولا ال سنا ولا اجبن عند اللقاء. يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وخيار الصحابة رضي الله عنهم وارضاهم - 00:26:04

يستهزئون بهم او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول لو ان الله هداني لو هنا تمني يقول ليت الله هداني لكن حين لا ينفع وقال قتادة رحمه الله - 00:26:23

هؤلاء اصناف ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين. قال هذا صنف او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين. قال هؤلاء صنف - 00:26:44

او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين هؤلاء صنف. الذين يتمنون الرجوع الى والعودة منها او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين - 00:27:04

اي تود لو اعيدت الى الدنيا لتحسن العمل قال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل ان يقولوه وعملوه - 00:27:24

وعملهم قبل ان يعملوه. يعملوه. نعم. يقول ابن عباس رضي الله عنه اخبر الله ما العباد؟ قائلون قبل ان يقولوا هذا القول خصه الله جل وعلا ان الظالمين يقولونه متى - 00:27:44

يوم القيامة واخبر جل وعلا ما هم قائلوه وعلم جل وعلا اعمالهم قبل ان يعملوها الله جل وعلا قد احاط بكل شيء علما يعلم جل وعلا اجلا ما العباد قائلون - 00:28:03

ويعلم جل وعلا اجلا ما العباد عاملون وجل وعلا لا تخفى عليه خافية يخبر سبحانه ماذا سيقوله الظالم يوم القيامة؟ قبل ان يأتي يكون في هذا عظة وعبرة لمن وفقه الله جل وعلا فتاب الى الله وندم عما فرط منه - 00:28:30

ولا ينبئك مثل خبير. ايا الله جل وعلا فهو يخبر عما سيأتي وهو عالم به جل وعلا. نعم. ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في بالله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين - 00:28:58

او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين ما من نفس تدخل النار ليزداد حسرة وندامة والعياذ بالله وما من مؤمن يدخل الجنة الا ويرى مقعده من النار لو كفر - 00:29:23

ليزداد شكرا لله جل وعلا فاخبر الله عز وجل ان لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. هم يتمنون الرجعة والله جل وعلا اعلم بما بحالهم لو ردوا لاستمروا على ما كانوا - 00:29:48

كما قال الله جل وعلا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه نعم وانهم لكاذبون. يعني لكاذبون في انهم لو ردوا امنوا ما يصدقون. نعم وقد قال

الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل اهل النار - 00:30:12
مقعده من الجنة فيقول لو ان الله هداني فتكون عليه حسرة قال وكل اهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا ان الله هداني قال يكون له شكر رواه النسائي من حديث ابي بكر ابن عياش - 00:30:37
يعني يشكر الله جل وعلا الذي من عليه بالاسلام وسلم من هذا المقعد الخبيث وذاك والعياذ بالله يرى مقعده من الجنة لو اسلم ليزداد حسرة وندامة ولما تمنى اهل الجرائم العودة الى الدنيا وتحسروا على تصديق ايات الله - 00:31:02
واتباع رسله وقال الله سبحانه وتعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين. بلى اي قد جاءك القرآن وجاءتك المواعظ وجاءك الرسول وجاءك الدعاة الى الله جل وعلا على بصيرة - 00:31:26
فارشدوك الى الحق فلم تقبل ما اخذت على غرة وما عاقبك الله جل وعلا قبل اقامة الحجة عليك الله جل وعلا لا يعاقب العباد الا بعد اقامة الحجة عليهم. بعد النذارة وما كنا معذبين - 00:31:51
حتى نبعث رسولا يقول الله بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها لم تقبلها ورددتها واستكبرت عنها تعاظمت وتكبرت عن ان تصلي مع الفقراء والمساكين تكبرت وتعاظمت عن ان تجلس مع عباد الله الصالحين - 00:32:13
كما قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم نستحي ان نجلس مع هؤلاء الفقراء فاطردهم عنك لنجلس معك هذا ما حملهم على هذا الا الكبر والغطرسة قال الله جل وعلا بلى قد جاءتك اياتي الدالة على وحدانية الله جل وعلا. ايات القرآن - 00:32:39
والمواعظ والعبر فكذبت بها لم تقبلها ورددتها على من جاءك بها واستكبرت تعاظمت عن ان تصلي مع الفقراء والمساكين عن ان تأتي الى المسجد يقول استحي اصف بجوار هذا الفقير - 00:33:09
في هذا المريض بهذا كذا بكذا بكذا الى اخره هذا تكبر وتعاظم والا فالمفروظ بالعاقل ان يحمد الله جل وعلا ويبادر الى ما امره الله جل وعلا به. واذا رأى من دونه يزداد شكرا لله جل وعلا وحمدا له على ان تفظل عليه - 00:33:30
الحمد لله الذي فظلني على كثير ممن خلق تفظيلا ويحمد الله جل وعلا على ذلك ويجود على من دونه بما تيسر له ويتحبب الى اخوانه الفقراء والمساكين ولا يتكبر ولا يتعاظم عليهم - 00:33:57
واستكبرت وكنت مع استكبارك من الكافرين بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم فهذه نتيجة استكبرت عن الحق وتعاظمت ونتج عن ذلك كفرك بالله جل وعلا فهذا مصيرك وهذا مآلك ولما - 00:34:20
نهى النبي صلى الله عليه وسلم على الكبر قال احد الصحابة رضي الله عنهم ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال الكبر - 00:34:50
قطر الحق وغمط الناس يعني رد الحق وعدم قبول الحق واحتقار الناس احتقار المسلمين استكبرت وكنت من الكافرين. فالكبر صفة من صفات الكفار لا من صفات المؤمنين وسيأتي ستأتي باذن الله الاحاديث الواردة في النهي عن الكبر في الايات - 00:35:10
اللاحقة فيما بعد في قوله جل وعلا ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:35:40